

النص الأدبي أرشيف وطقس من طقوس البقاء

يوسف عليما يقرأ القصائد عبر نظريات متداخلة ليؤسس مفهوم الأرشيفانية الجديدة

يشكل النقد الثقافي من خلال حضوره اللافت عربيا وعالميا علامة بارزة في سياقات النقد الحديث. ويقام النقد الثقافي وفقا لهذا المنظور على جملة من المقولات التأسيسية التي تتمثل في نسقية النصوص ومراوغتها وسلطة التاريخ وأنبعا المؤلف من مرقده.. الخ، وهي مقولات لا بد للناقد المختلف الإفادة من إمكاناتها في رحلته المعرفية الشائكة في شعاب النصوص ووهادها بغية الكشف عن أسس هذه النصوص، ومن ثم القبض على تمثيلات الثقافة.

عاصر سلمان أبو محارب

وفي هذا السياق انتهت هذه القراءات جميعها إلى أن أطروحات يوسف عليما في النقد الثقافي تتكشف عن تجليات ذات قاعدة مختلفة تمتلك حضورا طاغيا، وتكرس معنى الإصالة في طرحها النقدي الجاد، ذلك أن أطروحاته استلهمت وتسلتتيم، والحال هذه، مفاهيم مختلفة كالقراءة المنتجة، والقراءة النسقية، والقراءة المختلفة التي لوج عليما بمحاولة توطئتها في السياق النقدي العربي بصورة جعلت مشروعها تمثيلا للحظة فارقة في تاريخ النظرية النقدية العربية المعاصرة.

**النص بنية أرشيفية،
أو أرشيف نسقي، ذلك
أنه يمثل أرشيف الذات
الكاتبة المصابة بحمي
الأرشفة في عملية الكتابة**

وتمتاز القراءة الثقافية التي أسس لها عليما في مشروعها الموسوم بوعي بكاد يكون مفردا بين المنشغلين بالنقد الثقافي، وأمارات هذه الواسع تتجلى في تنبئه مقولة كرنفالية الدراسات الثقافية (cultural studies carnival) التي تنهض على فكرة مركزية مؤداها وجوب الإفادة من المنجز النقدي الذي أنجزه النقاد المنتمون إلى المدرسيات النقدية المختلفة، وعلماء الأنثروبولوجيا والفلاسفة، فضلا عن الانفتاح المنهجي الضابط على إمكانات النقد الأدبي.

ولعل اللافت للنظر في سيرورة هذا المشروع العلمي الناجز عند عليما أنه قد بدأ مسكونا بهواجس التساؤل والتجريب، أي إعادة إحصاب مناهج النظر في الأدب العربي باطروحات جديدة ومختلفة، ويمكن رصد ملامح هذا العمل التجديدي في كتابه الأخير "ثقافة النسق: تجليات الأرشيف في الشعر العربي القديم" الصادر عن دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2021، إذ يؤسس عليما في هذا الكتاب عبر خمسة فصول مفهوم نقدي جديد يقترحه وهو مصطلح الأرشيفانية (Archivianism).

وإذا كان النص يمثل بني جمالية كما يتبدى في منظور البنيويين، ومنتسبية عند التفكيكيين، وإشارات دالة في المدرسيات السيميائية، فإنه من منظور عليما بنية أرشيفية، أو أرشيف نسقي،

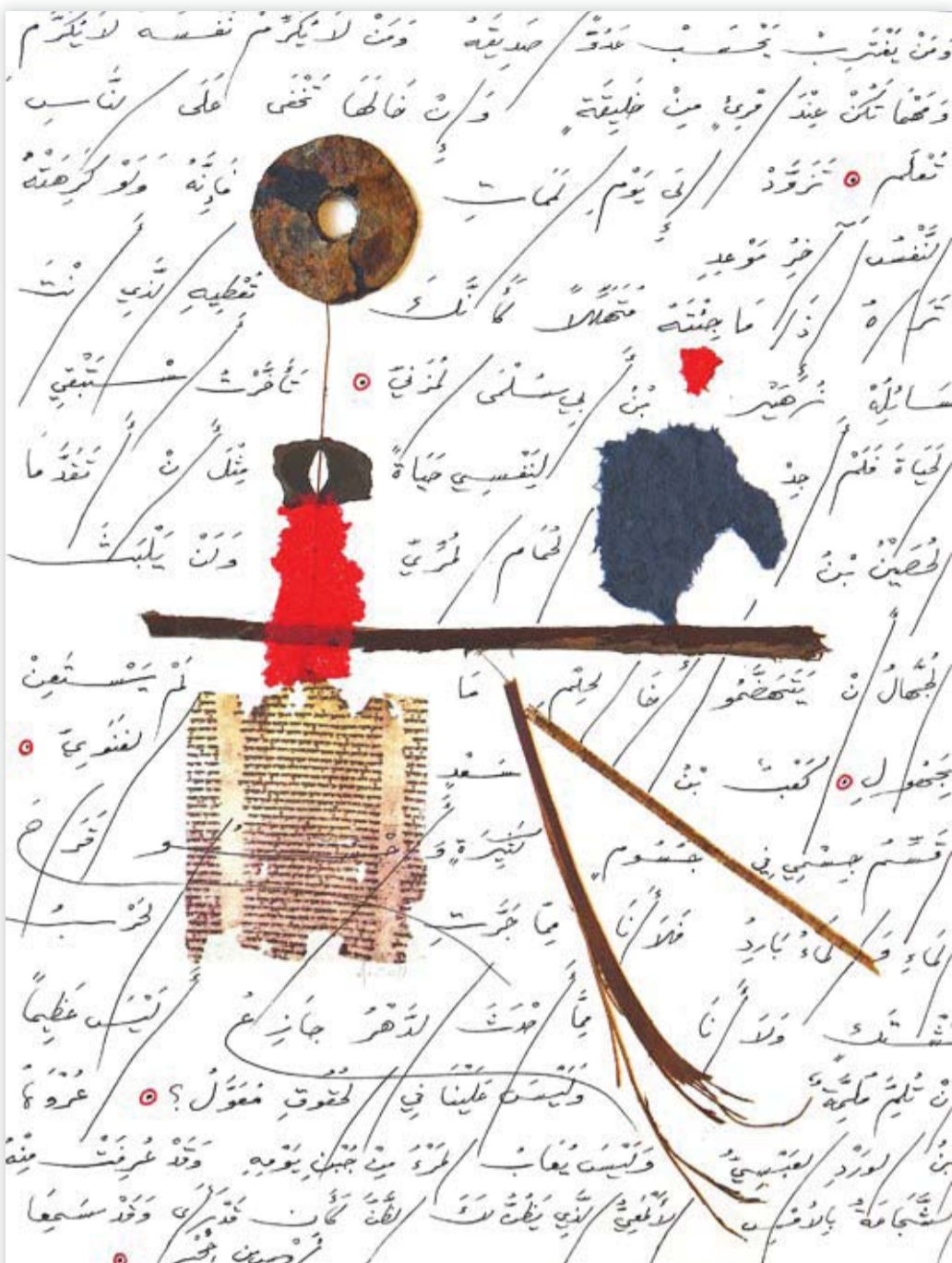
ذلك أنه يمثل أرشيف الذات الشعاعرة المصابة بحمي الأرشفة كما يشير إلى ذلك جاك دريدا، فالنص بوصفه أرشيفا طقس من طقوس البقاء والخلود التي يدفع بها المبدع/ الشاعر عن نفسه وروحه غوائل الزمن، وقانون المحو والانقراض، ولانقاسق كذلك وفقا لهذا المنطلق انظلمته الخاصة "فالنسقي، إن، له ثقافته، وله أرشيفه الموارب أو ذاكرته المركزية في البنى النصية؛ إنه نظام يملك استراتيجيات واستراتيجيات العبور نحو المضمر والمسكوت عنه في أنظمة الخطاب التاريخي، والأبيولوجي، والثقافي، والجمالي، والمعرفي، بغية الكشف وتأسيس المخالفة والمفارقة".

وفي هذا السياق يجيء هذا الكتاب في تنوير عنوانه "أرشيف النسق ونسق الأرشيف: مفارقات الأرشيف" وخمسة فصول بداية بشعريات التوتير: تمثلات الزمن في قصيدة عبد يغوث الحارثي، يليه "مفارقات الهامش: قراءة في نونية قريظ بن أنيف"، أما الفصل الثالث فيتناول "بلاغة الحجاج في النص الشعري: دالية الراعي النميري نموذجاً"، ثم نجد مبحثاً في "جدليات النص النسقي: دراسة نسقية في شعر عليمة بنت المهدي"، ليخصص الفصل الخامس لـ"تحولات التابع: قراءة في قصيدة المتنبي وأجر قلباه"، ويختتم الكتاب بخاتمة عنوانها "من النص إلى الأرشيفانية".

ولا ريب أن هذا الكتاب يمتاز بفرادة منهجية تتأني من محاولة عليما استثمار عدد من المفاهيم النقدية التي طرحها الدراسات الثقافية والمدرسيات الغربية، ومن ثم جعلها متلازمة في هذا الكتاب، ومن هذه المفاهيم التي تنتمي إلى مدرسيات نقدية مختلفة: الهامش، المفارقة، التابع، الزمن القلق أو الزمنية المتوترة، الحجاجية أو بلاغة الحجاج والانساق المخالفة. ويأتي اقتراح عليما لمصطلح الأرشيفانية اقتراحا مصطلحيا يتكشف عن وعي نقدي يحمله بين جنبيه، ولما يزل يهجم به يحاوره ويطوره ويسائله، وهو وعي مرتبط بالطبع بضرورات تأسيس نظرية نقدية عريضة يخرج بها النقد العربي من القية العريضة يخرج بها عبر عن ذلك عبد العزيز حمودة في كتابه المهم "الخروج من القية: دراسة في سلطة النص" 2004.

وفي هذا السياق فلا مناص من القول إن دراسات الأرشيف (Archive Studies) تمثل حقلا معرفيا يشنه الفيلسوف الفرنسي التفكيكي جاك دريدا في كتابه التأسيسي الموسوم بـ"حمي الأرشيف الفرويدي"، على اعتبار أن الأرشيف والأرشيف عمل يشبه أن يكون إنسانيا بوصفه مرتبطا بالذات الإنسانية التي تكون كتابة أرشيفها الخاص.

وعليه فإن الأرشيف وفقا لرؤية عليما يمثل مركزا رئيسا من مركزات نظرية النقد الثقافي التي طرح أسئلة الأرشيف على الدوام، وتحاول أن تفحص



الأدب عبارة عن أرشيف خاص (رسمه للشاعر أدونيس)

والاضطهاد، وتمارس على السلطة ضريبا من المخالفة والمراوغة. وبناء على السابق يمكن القول إن عليما وهو يؤسس في هذا الكتاب المفهوم الأرشيفانية يستولد في ظني منهجا جديدا، يتكئ هذا المنهج إلى المفاهيم الكبرى التي تنبئ على أسس منها الدراسات الأرشيفية، فضلا عن الدراسات النقدية والنقد الثقافي، بيد

والمصير أثناء معاناتها من محنة الأسر. أما في الفصل الثاني فتجنيء نونية قريظ بن أنيف لتكون أرشيفا نابضا بتوترات الهامشية والإقصاء، إذ تجلي هذه القصيدة مفارقات الهامش/ الشاعر في لحظة انفصاله المساوية عن القبيلة، في للال صدمته الفاجعة أنهيار قانونها وتغاليلها الرصينة.

ويبين الناقد في الفصل الثالث أن دالية الراعي النميري تمثل نصا لأرشيف الحجاج الذي يلون به الراعي النميري في سبيل مواجهة سياسات الإلغاء والإقصاء التي تمارسها عليه السلطة المركزية بحجج رصينة وإشارات نسقية قاطعة.

فيما يقر في رابع فصول الكتاب بأن قصائد عليمة بنت المهدي تكشف عن تجليات أرشيف الذات المتوترة، التي اتخذت من القصيدة أرشيفا لممارسة عنف الأرشفة ضد السلطة المركزية/ الذكورية، التي تعاملت مع الشعاعرة من منظور السلطة الأبوية.

وفي الفصل الخامس يبرز عليما كيف تغدو ميمية المتنبي نصا يمثل مخاتلات الأرشيف وتحولات التابع/ الشاعر، فالشاعر وفقا لهذا العمل الأرشيفي/ القصيدة يجلي صورة الذات المتمثلة التي تكسر قانون التبعية

والمصير أثناء معاناتها من محنة الأسر. أما في الفصل الثاني فتجنيء نونية قريظ بن أنيف لتكون أرشيفا نابضا بتوترات الهامشية والإقصاء، إذ تجلي هذه القصيدة مفارقات الهامش/ الشاعر في لحظة انفصاله المساوية عن القبيلة، في للال صدمته الفاجعة أنهيار قانونها وتغاليلها الرصينة.

ويبين الناقد في الفصل الثالث أن دالية الراعي النميري تمثل نصا لأرشيف الحجاج الذي يلون به الراعي النميري في سبيل مواجهة سياسات الإلغاء والإقصاء التي تمارسها عليه السلطة المركزية بحجج رصينة وإشارات نسقية قاطعة.

فيما يقر في رابع فصول الكتاب بأن قصائد عليمة بنت المهدي تكشف عن تجليات أرشيف الذات المتوترة، التي اتخذت من القصيدة أرشيفا لممارسة عنف الأرشفة ضد السلطة المركزية/ الذكورية، التي تعاملت مع الشعاعرة من منظور السلطة الأبوية.

وفي الفصل الخامس يبرز عليما كيف تغدو ميمية المتنبي نصا يمثل مخاتلات الأرشيف وتحولات التابع/ الشاعر، فالشاعر وفقا لهذا العمل الأرشيفي/ القصيدة يجلي صورة الذات المتمثلة التي تكسر قانون التبعية

فيما يقر في رابع فصول الكتاب بأن قصائد عليمة بنت المهدي تكشف عن تجليات أرشيف الذات المتوترة، التي اتخذت من القصيدة أرشيفا لممارسة عنف الأرشفة ضد السلطة المركزية/ الذكورية، التي تعاملت مع الشعاعرة من منظور السلطة الأبوية.

فيما يقر في رابع فصول الكتاب بأن قصائد عليمة بنت المهدي تكشف عن تجليات أرشيف الذات المتوترة، التي اتخذت من القصيدة أرشيفا لممارسة عنف الأرشفة ضد السلطة المركزية/ الذكورية، التي تعاملت مع الشعاعرة من منظور السلطة الأبوية.

وفي الفصل الخامس يبرز عليما كيف تغدو ميمية المتنبي نصا يمثل مخاتلات الأرشيف وتحولات التابع/ الشاعر، فالشاعر وفقا لهذا العمل الأرشيفي/ القصيدة يجلي صورة الذات المتمثلة التي تكسر قانون التبعية

فيما يقر في رابع فصول الكتاب بأن قصائد عليمة بنت المهدي تكشف عن تجليات أرشيف الذات المتوترة، التي اتخذت من القصيدة أرشيفا لممارسة عنف الأرشفة ضد السلطة المركزية/ الذكورية، التي تعاملت مع الشعاعرة من منظور السلطة الأبوية.

وفي الفصل الخامس يبرز عليما كيف تغدو ميمية المتنبي نصا يمثل مخاتلات الأرشيف وتحولات التابع/ الشاعر، فالشاعر وفقا لهذا العمل الأرشيفي/ القصيدة يجلي صورة الذات المتمثلة التي تكسر قانون التبعية

فيما يقر في رابع فصول الكتاب بأن قصائد عليمة بنت المهدي تكشف عن تجليات أرشيف الذات المتوترة، التي اتخذت من القصيدة أرشيفا لممارسة عنف الأرشفة ضد السلطة المركزية/ الذكورية، التي تعاملت مع الشعاعرة من منظور السلطة الأبوية.

فيما يقر في رابع فصول الكتاب بأن قصائد عليمة بنت المهدي تكشف عن تجليات أرشيف الذات المتوترة، التي اتخذت من القصيدة أرشيفا لممارسة عنف الأرشفة ضد السلطة المركزية/ الذكورية، التي تعاملت مع الشعاعرة من منظور السلطة الأبوية.

الأرشيفانية الجديدة

إن قراءة عليما لتجليات الأرشيف في القصائد التي انتخبها في كتابه هذا وما انتهت إليه هذا القراءات يرتبط بمعنى الانكشاف/ التعرف (Recongnition) الذي طرحه أرسطو، بمعنى أن أطروحات عليما تمثل لدى قارئها لحظة كشف وتنوير، وكسر لإفاق التوقع؛ ذلك أن هذه القراءات العميقة تهز معارف القارئ ومعتقداته هزا شديدا بما طرحه من حفر معرفي يفتتح على فضاءات المحتمل واللامتوقع.

ففي الفصل الأول يقر الناقد أن قصيدة عبد يغوث تمثل نصا أرشيفيا، أرشيف من خلاله الشاعر لتجربته الذاتية القلقة التي عانت من إشكاليات الوجود

القراءة فعل فردي

في كتابه "أيام القراءة" يروي الأديب الفرنسي مارسيل بروست تفاصيل ممتعة عن شغفه المبكر بالقراءة ودورها في صقل موهبته الأدبية. ومن ثم يشرح مفهومه عن فن القراءة وأنها ليست هروبا من الواقع كما يتصورها البعض، ولا هي ابتعاد عن المكان والزمان بقدر ما هي تأكيد على الالتصاق بهما، لا بل استحضر الماضي إلى قلب الحاضر حيث تتداخل الأزمنة والإمكانة من دون أن يحل أحدها مكان الآخر.

"أيام القراءة"، الصادر حديثا في نسخته العربية عن "دار الرافدين"، يعارض فيه بروست بروسكين (1819 - 1900) على الرغم من إعجابه وتأثره به. فهو يرى أن آراء روسكين تتوافق مع رأي ديكارث القائل بأن "قراءة كل الكتب الجيدة هي بمثابة حوار مع الناس الأكثر صدقا في القرون الماضية". وفيما يحدث روسكين على القراءة الجماعية في المكتبات العامة، يرى بروست أن القراءة فعل فردي وهي تقف على عتبة الحياة الروحية لكنها لا تشكلها.

الأسئلة الكبرى

يتميز كتاب "دليل أكسفورد في الفلسفة"، الصادر في جزأين عن مشروع نقل المعارف الذي تقوم عليه هيئة البحرين للثقافة والآثار، بالدقة والعمق والشمول وتنوع المساهمين فيه، ونال شهرة واسعة منذ طبعته الأولى الصادرة عام 1995 التي تمّ تنقيحها وأضيفت إليها مداخل جديدة في طبعة ثانية هي المنقولة هنا.

هذه المداخل مدعمة بمقالات مطولة في فروع من المعرفة وفي مدارس ونظريات ومناهج ذات صلة بالفكر الفلسفي، إذ يناقش عدة قضايا منها علاقة الزمن بالجدس، وهل لنا إرادة حرة؟ ما هي أسس المعرفة؟ هل للطبيعة قوانين؟ ما الذي يجعل الجملة صادقة؟ كيف يسبب شيء ما شيئا آخر؟ ما قيمة الفن؟ هل للحياة معنى؟ هل ثمة سبب للإيمان بالله؟ هل صحيح أنه ليس ثمة ما هو صالح أو سيء، وإنما التفكير هو ما يجعله كذلك؟ هذا الدليل يجيب عن أسئلة كبرى كهذه، ويربط بين مداخله بإحالات تغنيها، وتوجد متعة في تتبعها وقراءتها.

الفيلسوف وهو شاب

"وجها الحياة" تأليف الفيلسوف الفرنسي الراحل البير كامو وترجمة إسكندر حمدان، يضم خمسة مقالات، وهو أول عمل ينشره كامو بين سنتي 1935 و1936 وهو في الثانية والعشرين من عمره.

ويمكن القول إن هذا الكتاب، الصادر عن دار خطوط وظلال، يحتوي على أفضل ما كتب كامو على الإطلاق. وفي مقدمته لطبعة سنة 1958، التي وافق عليها أخيرا لأسباب سيشرحها، يستنتج كامو قائلا "أردت فقط أن أؤكد أنني لو مشيت مطولا بعد هذا الكتاب، فإنا لم نأقدهم. غالبا، ظانا نفسي أقدم، كنت أراجع." وهذا يؤكد أن هذه النصوص زرعت بذور موضوعاته المهمة كاملة.

ترسم المقالات الخمسة تجربة شاب غنيّة جداً رغم صغر سنّه، وتأخذ بيد القارئ من حيّ بلكور في الجزائر العاصمة، حيث عاش في الفقر مع عائلته، إلى رحلة قادته إلى جزر البليار، إلى ميورقة بالتّحديد، ثمّ في رحلة أخرى إلى براغ التي حمل أثنائها موته في روحه، ثمّ فيتشترزا الإيطالية.

ترجمة إسكندر حمدان

